محاضرات في مقياس: تاريخ الاستعمار وحركات التحرر في قارتي أفريقيا وأسيا في القرن التاسع عشر والعشرين.

من إعداد/ الدكتور: عبد القادر كركار –جامعة الوادي.

موجهة لطلبة السنة ثالثة ليسانس **تخصص**: تاريخ عام.

السنة الجامعية:2022-2023م/1444هـ. **السداسي: الخامس**

- **المحاضرة العاشرة: الصين في مواجهة الاستعمار الحديث**

.

عناصر المحاضرة:

1- أوضاع الصين

2 – حرب الافيون الأولى والثانية

3 – تداعيات حروب الافيون

1- أوضاع الصين

تعتبر الصين من أعرق الدول التي عرفت الأنظمة السياسية القوية خاصة النظام الامبراطوري الذي اتسع نطاق حكمه ليشمل رقعة جغرافية واسعة لحكم مجموعات عرقية متنوعة تعيش في بلاد تعرف كثافة سكانية مرتفعة.

وقد كان نوع نظام الحكم متجاوبا مع طبيعة الانسان الصيني الميال الى الالتزام بالقوانين والتنظيمات التي تسير نظام حياته والانقياد لها بحكم طبيعته الفلاحية وعقيدته الفكرية والفلسفية، وفي هذا السياق فقد تداولت على البلاد عدة اسر حاكمة منذ ما قبل الميلاد عرفت خلال فترات حكمها حالات من القوة والضعف.

وخلال تاريخها الطويل كانت علاقاتها بالعالم الغربي أساسا ذات طابع تجاري بحكم بعد المسافة بين الطرفين حيث كانت تعرف الصين بأنها ابعد رقعة من الأرض المعروفة آنذاك وهي اقصى الشرق وقد لعب العرب والأتراك المغول دورا بارزا في التواصل بين الصين وأروبا من خلال عمليات التبادل التجاري والذي كان في الغالب في اتجاه واحد بحكم توجس الصينيين وعدم تقبلهم بسهولة للبضائع الأجنبية وفي المقابل جودة وندرة البضاعة الصينية الوافدة الى أروبا وهو ما جعل الأوروبيين يتطلعون الى استكشاف الصين والوصول اليها دون وساطة التجار المسلمين متبعين في ذلك ما كان يعرف بطريق الحرير

ولعل أشهر أوروبي كان له السبق في ذلك الرحالة الايطالي ماركو بولو[1] الذي اثار فضول الاروبيين بما رواه عن ما رأه من غرائب وعجائب بلاد الصين

DJABD ELKADER KERKAR

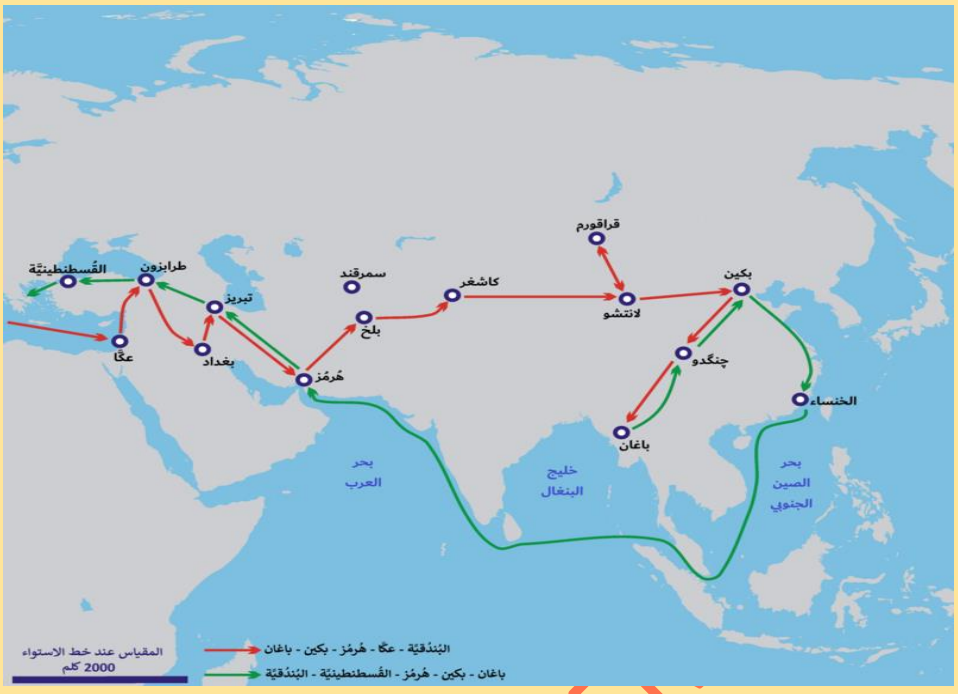

أما التواصل العسكري فقد بدأ مع تولي أسرة مندشو(Mandchoue)، التي حكمت من 1644 إلى 1910. السلطة في البلاد متمثل في التوسع الروسي في اتجاه الشرق حيث احتلت روسيا القيصرية مساحات شاسعة شمال شرقي الصين وكانت من الدول الاروبية التي لا تتصل أراضيها بالصين ثم اجتاز جيشها أورال مستهدف توسيع نفوذها الى الشرق ابتداء من 1643م.

وصمت روسيا اذانها الى مطالبة حكومة تشينغ الانسحاب من أراضي الصين وحل مشاكل الحدود بالمفاوضات وبعد الحروب والمعارك بين الطرفين والي كانت سجال وقع اتفاق نيبثشو لترسيم الحدود عام 1689 بينهما [2]

ومع وصول الاروبيين الى العالم الهندي بعد تحقيق انجاز استكشاف رأس الرجاء الصالح والالتفاف حول القارة الافريقية ثم الإنجاز الثاني باستكشاف مضيق ماجلان من خلال رحلة هذا الأخير والالتفاف حول كوكب الأرض اصبح الوصول الى الصين بحرا من اروبا متاحا مباشرة وهو ما فتح مجال التواصل المباشر بين الطرفين بدون وساطة المسلمين وفقد طريق الحرير التقليدي أهميته وقد كان للبرتغاليين السبق في تحقيق ذلك غير انه سرعان ما ساءت العلاقة بين الطرفين وتوجس الصينيين من نوايا البرتغاليين لكن محاولات الأروبيين في استغلال الأرباح التجارية مع الصين تواصلت بحلول طرف جديد في المنطقة ممثل في التجار الإنكليز الذين نالوا نصيب الأسد في السوق الصيني ما جعلهم يتحولون من التجارة الي التدخل في شؤون البلاد انطلاقا من الهند، والى غاية 1809، فتحت الصين ميناء كانتون فقط في الجنوب، أمام التجار الأوروبيين وعلى رأسهم البريطانيين، وكانت المعاملات تتم مع نقابة كو هونغ (Co-hong)، وهي مجموعة من الوكلاء المخول لهم التعامل مع الأجانب، في الوقت الذي منعت سلطات الامبراطورية الاتصال مع الشعب الصيني مباشرة،[3] وقدطلب

الملك جورج الثالث من الامبراطور الصيني شيان لونج توسيع العلاقات التجارية بين البلدين.. إلا أن الإمبراطور أجابه: ان امبراطورية الصين السماوية لديها ماتحتاجه من السلع.. وليست في حاجة لاستيراد سلع أخرى من البرابرة.

فلم تستطع بريطانيا في ظل هذه الظروف تصدير الا القليل جدا من سلعها إلى الصين، وفي المقابل كان علي التجار البريطانيين دفع قيمة مشترياتهم من الصين من الشاي والحرير والبورسلين نقدا بالفضة ..مما تسبب في استنزاف مواردهم منها. لذلك لجأت بريطانيا إلى دفع إحدى شركاتها.وهي شركة الهند الشرقية البريطانية (East India Company) التي كانت تحتكر التجارة مع الصين الي زرع الافيون في المناطق الوسطي والشمالية من الهند وتصديره الي الصين كوسيلة لدفع قيمة واردتها للصين.

تم تصدير أول شحنة كبيرة من الافيون الي الصين في عام 1781م وقد لاقت تجارة الافيون رواجا كبيرا في الصين وازداد حجم التبادل التجاري بين البلدين. وبدأت بشائر نجاح الخطة البريطانية في الظهور. إذ بدأ الشعب الصيني في إدمان الافيون. وبدأ نزوح الفضة من الصين لدفع قيمة ذلك الافيون. وبدأت مشاكل الإدمان تظهر على الشعب الصيني مما دفع بالإمبراطور يونغ تشينغ (Yong Tcheng) في عام 1829 م بأصدار أول مرسوم بتحريم استيراد المخدرات[4]

2 – حرب الافيون الأولى والثانية

نظرا للعواقبه الوخيمة للأفيون على صحة المجتمع الذي يضيع ماله في مخدرات ثم وقته بسبب التخدير، ونظرا لاسباب سياسية أخرى أكثر أهمية، و هي رفض الصين مبدأ التساوي في السيادة في بناء العلاقات الدبلوماسية، وكذا حرية التجارة، ونظرتها السلبية للتجار الأوروبيين الذين وصفتهم بالشياطين الاجانب، ما جعلها تشترط عليهم قطع وعد عدم الاتجار بالأفيون حتى تسمح بتزويدهم بالماء والغذاء في كانتون[5]، تصاعدت حركة التهريب للأفيون إلى الصين بصورة تدريجية حيث لم يُهرَّب إليها في عام 1829 م سوى 200 صندوق تحوي 608 كيلوجراما من الأفيون قدرت تكلفتها بخمسة عشر مليون دولارا. ثم في عام 1892 م وصلت المهربات إلى 4000 صندوق حوت 272 طناً... انزعجت الصين لهذه الظاهرة.. وللخطر الذي يمثله تعاطي الافيون الواسع علي صحة المواطنين. والذي يسبب تدمير المجتمع الصيني إذ كان الصيني يبيع كل ما يملك للحصول على الافيون.

لذلك اصدر الإمبراطور الصيني قرارا آخر بحظر استيراد الافيون إلى الامبراطورية الصينية..بل وذهبت الامبراطورية إلى ابعد من ذلك عندما ذهب ممثل الإمبراطور الي مركز تجارة الافيون واجبر التجار البريطانيين والأمريكيين علي تسليم مخدراتهم من الافيون الذي بلغ الف طن وقام باحراقه في احتفالية كبيرة شهدها المناوئون لهذا المخدر الشيء الذي دفع التجار الانكليز الاستنجاد بلندن لما رأت إنكلترا ذلك، وعلمت أن التجار من أبنائها اضطروا

بهذا المنع إلى مبارحة الديار الصينية، أعلنت أن شرفها مسَّ وساقت إلى الصين أسطولها في سنة 1840م[6].

أ-حرب الافيون الأولى 1840 - 1842 م

قررت بريطانيا التي كانت في اوج قوتها العسكرية في ذلك الوقت اعلان الحرب على الصين لفتح الأبواب من جديد امام تجارة الافيون للعودة من جديد. وبحث البريطانيون عن ذريعة لهذه الحرب فاستخدموا مبدأ «تطبيق مبدأ حرية التجارة» وفي ذلك الوقت كانت بريطانيا قد خرجت منتصرة علي منافسيها من الدول البحرية في حروب نابليون وقامت الثورة الصناعية فيها، وأصبحت الدولة الرأسمالية الاقوي في العالم فلجأت الي فتح أسواق لتصريف منتجاتها الصناعية والبحث عن مصادر رخيصة للمواد الأولية التي تحتاجها لصناعاتها. وكان النظام العالمي في ذلك الوقت يقوم علي مبدئين هما حرية التجارة ودبلوماسية السفن المسلحة. وارسلت بريطانيا في عام1840م سفنها وجنودها الي الصين لاجبارها علي فتح أبوابها للتجارة بالقوة.

استمرت حرب الافيون الأولى عامين من عام1840 الي عام1842 واستطاعت بريطانيا بعد مقاومة عنيفة من الصينيين احتلال مدينة «دينغ هاي» في مقاطعة شين جيانج واقترب الاسطول البريطاني من البوابة البحرية لبكين. ودفع ذلك الإمبراطور الصيني للتفاوض مع بريطانيا وتوقيع اتفاقية «نان جنج» في أغسطس 1842.[7]
وضعت فيها شروط ثلاث:
أولها :أن تدفع الصين 21 مليون دولار غرامة حربية.
ثانيها :أن تفتح للتجارة الأوروبية ثغور ننج بو و فوتشيو و أموواي و كانتون . شنغاي وهونغ كونغ
ثالثها :أن تتنازل لبريطانيا عن جزيرة هونغ كونغ
ومن العجيب أنه لم يأت للأفيون ذكر في هذه المعاهدة، ولذلك فإن الإنكليز أدخلوا 8190كيسًا منه في سنة 1844م فغضب الإمبراطور، وأراد أن يبذل مستطاعه لمنع الاتجار فيه لولا أن مات في 25 فبراير سنة 1850م[8].

ب-حرب الافيون الثانية 1856-1860م

تولى هيين فونغ وله من العمر19 سنة، فلم تزل تتنازعه الثورات الداخلية من جانب والدول الغربية من جانب آخر، لم تحقق معاهدة «فان جنج» ما كانت تصبوا اليه بريطانيا والقوي الغربية. فلم يرتفع حجم التجارة مع الصين كما كانوا يتوقعون. والحظر علي استيراد الافيون ما زال ساريا، كما أن البلاط الامبراطوري يرفض التعامل مباشرة معهم لذلك قدموا مذكرة بمراجعة الاتفاقات القائمة التي رفضها الإمبراطور حتى جاءت سنة 1859 م لذلك قررت بريطانيا وفرنسا استخدام القوة مرة أخرى ضد الصين و واتتهم الفرصة عند قيام

السلطات الصينية في» جوانج شو «بتفتيش سفينة تحمل العلم البريطاني واعتقال بحاريها وانزال العلم ومقتل منصر فرنسي، لشن حرب جديدة علي الصين.

فاتحدت فرنسا مع بريطانيا وأرسلتا لمحاربته حملة أمكنها بعد موقعتي اليكاو و تشانغ كيا وإحراق القصر المسمى قصر الصيف أن تفتح الطريق إلى العاصمة، فاضطر الإمبراطور في 24 أكتوبر سنة 1860 م أن يعقد صلحًا وتوقيع اتفاقية) تيان جين يفتح به لتجارة أوروبا 16 ثغرًا، ويقبل دخول سفيري الدولتين في بكين محاطين باثني عشر ألفًا من الجنود[9]

3 – تداعيات حروب الافيون

كانت لمعاهدة الصلح تداعيات مصيرية على مستقبل الصين والتي تعطي لهم مزيدا من الامتيازات من أهمها:

1. فتح خمسة موانئ جديدة للتجارة الدولية وتحديد الأفيون بصفة خاصة من بين البضائع المسموح باستيرادها.
2. حرية الملاحة على نهر اليانغ تسي كيانج.
3. السماح بدخول المسيحية في أرجاء الصين.

ونصت اتفاقية تيان جن علي التصديق عليها خلال عام من توقيعها. وحين تأخرت الصين في التصديق استخدمت بريطانيا وفرنسا القوة مرة أخرى لتحقيق ذلك واستطاعت قواتهما دخول «تيان جين» في ربيع عام1860 ثم تقدمت نحو بكين ودخلوها في أكتوبر 1860وتوجهوا إلي القصر الصيفي للإمبراطور الذي يبعد بضعة آميال عن بكين وكان هذا القصر يعتبر من أعظم وأفخم قصور العالم ويحتوي على آثار تاريخية هامة وقام الضباط البريطانيون والفرنسيون بنهب محتوياته لمدة أربعة أيام، وأضرموا فيه النار بعد ذلك. وعن هذه الحادثة كتب فكتور هوغو عن ذلك فقال :دخلت العصابتان البريطانية والفرنسية كاتدرائية آسيا أحدهما قام بالنهب والآخر قام بالحرق وأحد هذان المنتصران مليء جيوبه والثاني مليء صناديقه ورجعوا إلي أوروبا يدهم في يد بعض ضاحكين. ان الحكومات تتحول أحيانا إلي لصوص ولكن الشعوب لا تفعل ذلك.

اضطر الإمبراطور للرضوخ لمطالبهم ووقع اتفاقيات «تيان جين» مع كل من فرنسا وبريطانيا وكذلك روسيا والولايات المتحدة التي منحت امتيازات أكثر أهمها فتح المزيد من الموانيء امام تجارة هذه الدول والإقامة لرعاياهم في بكين. والتعامل المباشر مع البلاط الامبراطوري وحرية تجول المنصرين في الصين، والتنازل عن كولون وهي منطقة واقعة في الصين والأكثر قربا. وارتفع عدد المدمنين في الصين من مليوني مدمن عام 1850م ليصل إلى 120 مليوناً سنة 1878م.

وقد فتح هذا الضعف الباب امام تدخلات القوى الأخرى التي دخلت على الساحة ومنها اليابان التي اخذت تسعى لمد نفوذها في المنطقة اسوة بالقوى الاروبية وهي ترى نفسها أولى

بالسيطرة على الفريسة الاسياوية بحكم الانتماء القاري والحضاري فلما تولى كوانج هسو تاسع ملوك الاسرة وعمره أربع سنوات فكفلته الإمبراطورة أرملة المتوفى، وأول ما حدث في أيامه أن الصينيين كانوا قد قتلوا في جزيرة فورموزا.

لكن بريطانيا تداخلت وعقدت بينهما معاهدة نالت بها اليابان الترضية اللازمة .وفي13 سبتمبر سنة 1879 م عقد بين الصين وبريطانيا وفاقٌ يسمح لهذه الأخيرة بإرسال حملة إلى لتبت ولم يكد خير الوفاق ينتشر حتى هاجت الروسيا، واتخذت قطعة أرض قريبة من كشغر سببًا للمنازعة فادعت أنها صارت ملكًا لها وعقدت مع المعتمد الصيني وفاقًا فلما علمت الحكومة الإمبراطورية بكل هذا استقدمت معتمدها وحكمت عليه بالإعدام، ثم أعلنت أنها ترفض الاعتراف بالوفاق الذي أمضاه، إلا أن الروسيا التي لم يرق في عينها هذا الانخذال ظلت تدأب وتنازع حتى عقدت في عام 1881 م مع الصين معاهدة كولجا تقضي بإعطائها أراضي بأجمعها ما عدا الجزء الغربي منها

نالت بريطانيا وروسيا ما نالتا، فلم يبق سوى فرنسا وقد تشجعت بسابقتيها؛ فلم يمض قليل حتى كان الأسطول الفرنسي أمام الأسطول الصيني في أنَّام والتونكين فدمره وخرب دار صناعة الأسلحة ولم يرجع حتى نالت فرنسا حق السيادة على أنَّام والتونكين بمعاهدة عقدتها مع الصين في تيين تسين بتاريخ 9 يونيو سنة 1885 م .

وبعد أن قنعت أوروبا بما نالت من أطراف الصين، قامت اليابان تريد أن تجري على نسق الدول الأوروبية، فتداخلت في شئون كوريا تداخلًا أدى إلى النزاع الشديد[10] حيث استمرت التوترات بين الدولتين وتطورت الى احتلال أجزاء واسعة من الصين لتصبح البلاد احدى ميادين القتال خلال الحرب العالمية الثانية.

---

[1] **ماركو بولو** بالإيطاليةMarco Polo :، ولد في 15سبتمبر1254 م في البندقية، إيطاليا وتوفي في 8يناير1324 م في البندقية) هو تاجر ومستكشف من البندقية كان هو وأبوه نيكولو وعمه مافيو أول الغربيين الذين سلكوا طريق الحرير إلى الصين- والتي أطلق عليها اسم كاثاي -وكانت له علاقات دبلوماسية مع قوبلاي خان أكبر ملوك إمبرطورية المغول وحفيد جنكيز خان.[6][7][8] وقد دون رحلاته في كتابه إل ميليوني -وهو تصغير إيميليوني، اسم الشهرة لعائلة بولو- والذي يدعى أيضا رحلات ماركو بولو. https://cutt.us/YNr3B

[2] تاريخ الصين، سلسلة كتب سور الصين العظيم، جزء2 ، طبعة1 ، دار مجلة بناء الصين للنشر، بكين، 1987 ، ص ص73،75

[3] عمر عبد الناصر، مرجع سابق، ص 66

[4] الموسوعة الالكترونية ويكيبديا https://cutt.us/8F2l4

[5] عمر عبد الناصر، مرجع سابق، ص67

[6] أتربي أبو العز وعبد العزيز حمد، **نبذة عن الصين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة**، القاهرة، جمهورية مصر العربية 2014 ، ص24

[7] الموسوعة الالكترونية ويكيبديا https://cutt.us/8F2l4

[8] أتربي أبو العز، مرجع سابق، ص24

[9] نفسه ص24

[10] نفسه ص25

DR. ELKADER KERKAR